فكر الثورة في الإسلام

(مبدأ الخروج على الظالم)

طه الحاضري

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م

بسم الله الرحمن الرحيم

فكر الثورة في الإسلام
(مبدأ الخروج على الظالم)

هذا الكتيب عبارة عن ورقة عمل قُدِّمت في الندوة الفكرية والثقافية "ثورة الإمام زيد عليه السلام ثورة إحيائية ومتجددة" التي أقامها المجلس الزيدي للثقافة والعلوم والتنمية - المجلس الزيدي الإسلامي حالياً- بمناسبة ذكرى استشهاد الإمام زيد عليه السلام بمقر مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية بتاريخ ٢٩ محرم ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠١٤/١١/٢٢م

تمهيد

الحمد لله رب العالمين القائل: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ والصلاة والسلام على نبينا الكريم القائل: ﴿**لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُسَلِّطَنَّ الله عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمْ يَدْعُوا خِيَارُكُمْ فَلا يُسْتَجَابُ لَهُمْ**﴾ فصلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين **وبعد:**

فإن الحديث عن فكر الثورة في الإسلام أصبح ضرورة ملحة، وحاجة ماسة لنا كأمة مسلمة عانت الأمرين عبر تاريخها، وفي حاضرها المثخن بالجراح، وسيبقى كذلك بالنسبة لمستقبلها الذي تتطلع إليه.

وفي ظل الأوضاع الراهنة التي يعيشها أبناء الأمة من هزيمة نفسية ساحقة، وضيق في الأفق وتحجر في الفكر

والشعور بالنقص والضعف، وسيطرة اليأس والإحباط من تغيير واقعها إلى الأفضل، وانعدام الثقة بالله واعتبار الذلة والواقع المخزي والمنحط الذي يعيشونه قدراً إلهياً يجب التسليم له والإيمان به، والتعامل مع الأحداث العاصفة والفتن العاتية بالتجرد من المسؤولية وبنفسية اللامبالاة، حتى أصبحت الأمة كالكرة تركلها الأمم الأخرى حسب أمزجتها، وبعد كل ذلك يرجون الأجر من الله والثواب على هذا الوضع .

والأصل أن الأمة الإسلامية سُميت بالإسلامية نسبة إلى الإسلام الدين الحنيف، الذي شرعه الله تعالى لكل البشرية هداية لها، وجعله سبيل سعادة العالم بكل ما يحتويه من أمم، وضامناً للكرامة الإنسانية المهدورة من قبل أعداء الإنسانية.

وطالما الإسلام بهذا الرقي وبهذه العالمية في فكره وتعاليمه فالمفروض أن نَكْبُر ونَعْظُم بعظمة الإسلام

وشموليتــه وعمليتــه وإنــسانيته وواقعيتــه، لا أن نَــصْغِّر الإســـلام بـــصغرنا أو نحجمـــه بأفكارنـــا، أو نـــشوهه بعقائدنا المتناقضة في بعضها مع غاياته النبيلة وأخلاقه الكريمة، التي من أهمها الكرامة الإنسانية والعزة الإسلامية .

ولأن الخلل في الأمة بدأ بالأفكار المنحرفة، التي أصبحت فيما بعد ديناً وعقائد وتصورات للحياة، حتى وصلت إلى جعلها من أصول الدين الإسلامي، ووسيلة لعبادة الله سبحانه وتعالى، وتجسدت في الواقع بما الأمة عليه من خنوع وتشتت ومسخ وتناقض مع التعاليم الإلهية، فإن النهوض بالأمة يبدأ من الثورة على تلك الأفكار والعقائد ليحل محلها الفكر الإسلامي الحقيقي، المنسجم مع الفطرة الإنسانية ولا يتعارض مع العقل والمنطق، المنبثق من القران الكريم وحركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونهج أهل بيته الذين لا يفترقون عن القران كما في

الحديث الشريف: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض» ومن ثَمَّ يتجسد هذا الفكر في الواقع على شكل ثورة جهادية لإصلاح الأمة.

والمتأمل في الفكر الإسلامي الحقيقي يجده حاضراً في التاريخ الإسلامي بقوة، ويمكن تجسيده في الواقع المعاصر إذا استوعب الثورات الإسلامية النقية، التي قادها أهل البيت عليهم السلام بدءاً بكربلاء، ومروراً بثورة حليف القران الإمام زيد بن علي عليه السلام ومن ثار على خطاه وصولاً إلى عصرنا هذا.

فثورة كربلاء التي رسم الإمام الحسين عليه السلام فيها بدمائه الزكية، الصورة الكاملة للثورة في الإسلام بكل تفاصيلها، إلا أن الأمة تجمدت بعدها، أو قامت بثورات غير مكتملة الفكر أو محدودة الأهداف، حتى

اكتملت صورة الثورة من جديد بحركة وثورة حفيد حسين كربلاء زيد بن علي عليه السلام، وعاد نبض الخط الجهادي الثوري والاستشهادي في الأمة، وعادت معه أخلاق العزة والكرامة والحرية والعدالة والإباء والشهادة والتضحية، لتعلن عن وجودها وحضورها في الميادين والساحات بطول وعرض الأمة، وتؤكد أن صلاحيتها ممتدة وفاعليتها مستمرة وعمليتها حاضرة، لا تنتهي ولا تتوقف حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

الأسس الفكرية للثورة

عندما ينظر المسلم في كتب العقائد والأصول الدينية، يرى بوضوح حجم الكارثة التي سببتها هذه العقائد، حيث سلبت الإنسان الشعور بالحاجة للعمل والحركة في ميدان الحياة، وقضت على روح المسؤولية لديه ووضعته في مربع السلبية واللامبالاة، معتبرة ذلك

جزء من الإيمان بالله سبحانه وتعالى والجمود تقرباً إليه .

وعند البحث عن السبب الحقيقي لظهور هذ العقائد والأفكار، نجد أن السلطات الظالمة والحكومات الجائرة هي من اخترعتها لتخدير الناس عن معارضتها، ولكي يتقبلوا ظلمها وفسادها، وأول من قام بذلك الملك معاوية بن أبي سفيان الأموي، حيث أظهر عقيدة الجبر والقدر ووجوب طاعة الحاكم الظالم وحرمة الخروج والثورة عليه، وتبعه على ذلك كل ظالم حكم بعده بمختلف مسمياتهم من خليفة وإمام وملك وأمير ورئيس وسلطان وغيرها من المسميات.

وأمام هذا الخرق والخلل الفكري والإيماني نهض الإمام زيد عليه السلام لإصلاحه، متسلحاً بحليفه القران الكريم الذي خلا به ثلاثة عشر سنة يتلوه ويتأمله ويتدبره، فناظر وحاور وناقش ووضّح وبيّن وعلّم، ودرّس وخطب وألّف وأقام الحجة ودحض تلك التصورات

السلطوية، وألجم علماء السوء علماء السلطة والبلاط، ونزه الله سبحانه وتعالى عن كل ما ينسبه الظالمون إليه .

فميدان القلوب والعقول والنفوس، ميدان الفكر والإيمان والعقيدة والعلم، هو نقطة البداية للثورة والجهاد في الإسلام، لأن تلك الميادين محتلة بافتراءات وأباطيل الظالمين، وتحريرها أول خطوة في طريق نيل رضا الله تعالى واقتلاع الظلم والظالمين من على كاهل الأمة.

ومن هنا سُمي أهل البيت من وافقهم أهل العدل والتوحيد، ومن تابع الظالمين والملوك سُموا بالمجبرة والقدرية.

وخلاصة عقيدة أهل البيت عليهم السلام فيما يتعلق بعدل الله تعالى ووعده ووعيده، أن الإنسان خلقه الله تعالى مخيراً حراً مكلفاً، يستطيع فعل الخير ويستطيع فعل الشر، وقد أمره الله تعالى بفعل الخير ونهاه عن فعل الشر، فإن فعل الخير أثابه وجعل مصيره الجنة، وإن

فعل الشر ومنها الكبائر ولم يتب عاقبه الله تعالى، ولا تناله الشفاعة وجعل مصيره النار خالداً مخلداً فيها لا يخرج منها أبداً، لأن أفعال الإنسان هي صادرة من الإنسان نفسه وهو مسؤول عنها، وكل ما كلّفه الله تعالى به وأمره ونهاه في حدود استطاعة، ولم يكلفه فوق طاقته، وزوده بالقوة التي يستطيع بها الفعل والترك، وأن الله لا يأمر بالظلم ولا الفساد ولا المعصية ولا القبيح، ولم يُقدّر ذلك على عباده ولم يجبرهم على فعلها ولم يخلقها فيهم.

وهذه العقيدة وهذا الإيمان الواعي يدفع الإنسان أن يتحمل مسؤوليته في الحياة تجاه دينه وأمته، وهذا الفكر هو ما يمكن أن نخاطب به العالَم ونحاجج به الأديان الأخرى، لأنه لغة العقل ومنطق القران ونقاء الفطرة، ومن ثمراته عدم الرضوخ للظلم والظالمين،

والقيام بمسؤولية مجابهتهم ومواجهتهم بكل الطرق المشروعة، والتي تأتي في نهاية المطاف الثورة الجهادية العسكرية المسلحة كآخر حل وآخر الدواء الكي.

أما عقيدة الملوك والظالمين والطغاة والجبابرة فهي على النقيض تماماً، وخلاصتها أن الله تعالى خلق الإنسان مجبراً غير مخيّر، وقدر عليه فعل المعاصي والآثام بعد أن خلقها فيه وقدّر عليه، وقدّر عليه الظالمين وقدّر جرائمهم بحقه، وأن الظالمين مهما فعلوا وأجرموا وبغوا وظلموا، وفعلوا الكبائر إلا أنهم ما زالوا مؤمنين وإن لم يتوبوا، ومن أصحاب الجنة وتنالهم الشفاعة، وإن العصاة الذين يدخلون جهنم سرعان ما سيخرجون منها ويدخلون الجنة، وطاعة الظالمين واجبة وهم أولياء الأمر وتوليهم ضرورة إيمانية، والخروج عليهم والثورة في وجوههم محرمة وخروج من الملة وردة عن الدين، ويستحق صاحبه القتل بتهمة الخروج عن الجماعة وشق عصا

الطاعة، ولا يخفى التناقض الفج في هذه العقيدة حيث لم يعد للأوامر والنواهي الإلهية أي معنى ولا للوعيد القرآني أي تأثير، وقدّست الظالم أكثر من الله وجعلت طاعته مقدمة على طاعة الله سبحانه وتعالى وناسخة لها.

وهذه العقيدة مهدّت الأرضية للظالمين على مر التاريخ ليعيثوا في الأرض فساداً وبكل حرية، لأنها أعطتهم حصانة مطلقة من المساءلة القانونية والقضائية والشعبية بل وحتى الإلهية - زرواً وبهتاناً - وصوّرت الإسلام وكأنه دين الجمود ومسخ ليس لديه رؤية سياسية ولا ثورية ولا جهادية.

ويتضح مما سبق أن الفكر الإسلامي هو من يصنع الموقف، ويحث على القيام بالمسؤولية ويدفع باتجاه العمل والحركة في الميدان، ويفجّر الثورة على الظالمين والمعتدين والمستعمرين المحتلين، وينفخ في الأمة روح الجهاد والمقاومة، ويدعو إلى الحفاظ على الكرامة

الإنسانية وإلى عشق الشهادة والنصر والحرية ونشر العدالة على الأرض، ومواجهة جبابرة العالم ودول الاستكبار فيه، ناهيك عن اقتلاع الحاكم الظالم المسلم من جذوره ورميه في زبالة التاريخ، حتى يكون جزءاً من الماضي وعبرة للحاضر وعظة في المستقبل .

أما فكر الملوك والطواغيت فهو فكر لا أصل له ولم يكن له وجود، وإنما اختلقه الظالمون كما قلنا لتبرير أفعالهم وتحصين أنفسهم من غضبة الشعوب ولشرعنة غيهم وضلالاهم، وشتان ما بين فكر يصنع مواقف الحرية والعدالة والبطولة ويحافظ على الكرامة الإنسانية، وفكر يصنع الجمود والمهانة والخضوع والذلة واللامبالاة، ويُقدّم الأمة فريسة سهلة لأعدائها وكما يُقال على طبق من ذهب.

وهنا يأتي الدور الحقيقي والفعال للعلماء الذين ركّز الإمام زيد عليه السلام في ثورته الفكرية عليهم، وأرسل لهم رسالة وضّح فيها دورهم الإيجابي حينما يتحركون في

خط الإسلام، ودورهم السلبي حينما يدورون في فلك الظالمين، فالعالِم ليست وظيفته مجرد الفتوى في الأمور الفقهية والتعبدية المحدودة فحسب، ولكن دوره إشاعة الفكر الإسلامي بشموليته وتكامله وعالميته وجهاديته، والفكر الإسلامي هو ما نتعلمه في مادة أصول الدين التي من الخطأ اقتصارها على المواضيع التاريخية والفرق التاريخية، دون مواجهة الفرق المعاصرة كما فعل الإمام زيد عليه السلام في عصره، كما لا يجوز سجن القضية السياسية في الأمة داخل تلك الكتب دون التفاعل مع الواقع السياسي المعاصر، وفي الحقيقة فإن دراسة باب الإمامة أو الخلافة في كتب العقائد وأصول الدين وعلم الكلام أو دراسة باب السير في الفقه، هو دراسة العلوم السياسية التي لا بد من وضع الأنظمة السياسية المعاصرة كجزء من الدراسة فيها، حتى لا يخرج العالِمُ وطالب العلم وهو جاهل بأهم قضايا الأمة لا يفهم من واقعه السياسي شيئاً، ولا يملك الوعي السياسي ولا الحس الثوري ولا الروح الجهادية.

الفكر السياسي في الإسلام وعلاقته بفكر الثورة فيه

من خلال ما سبق ذكره من خلاصتي عقيدة العدل عقيدة أهل البيت عليهم السلام، وعقيدة الجبر والقدر والإرجاء عقيدة الملوك والظالمين، برز التناقض بين الفكر السياسي الإسلامي الناتج عن عقيدة العدل وبين فكر الملوك والظالمين الناتج عن عقيدة الجبر والقدر.

ولا شك أن الثورة لا تكون إلا على الظالم بقيادة العادل ليحل محله، وبذلك يحل العدل محل الظلم، ولكن عدم وضوح الرؤية السياسية والثورية في موضوع من يحق له حكم الأمة، ومن يقود الثورة في حالة الخروج على الظالم، جعل من الأمة ألعوبة بيد السفهاء ويجعل من الثورات فوضى ومجرد عبث.

وهذه القضية هي من صلب فكر الثورة في الإسلام، لأن القيادة الواعية التي المفترض أن تحكم الأمة بعد

إزالة الظالم، هي بمثابة الرأس من الجسد وكما لا خير في جسد لا رأس معه، فكذلك لا خير في ثورة لا قيادة واعية معها، لأن الثورة ليست مجرد معارضة سياسية ولكنها إصلاح شامل للأمة.

أبرز النظريات السياسية الإسلامية

هناك العديد من النظريات والرؤى والعقائد السياسية باسم الإسلام، بل لقد طغت هذا العقائد على العقيدة في الله تعالى، فأصبح الناس لا يهتمون بتنزيه الله تعالى وتوحيده ومعرفته، بقدر اهتمامهم بمعرفة الحاكم وولي الأمر حسب المذهب والطائفة، بل لقد أصبحت العقيدة السياسية هي الأصل والعقيدة في الله تعالى تابعة لها، وأصبح منظور الناس في الاتفاق والاختلاف منظوراً سياسياً وبغلاف ديني، وجُلّ الخلاف المذهبي والطائفي هو خلاف سياسي في أشخاص من بعد الرسول ﷺ في

قضية الحكم والخلافة والإمامة وولاية أمر الأمة، نتج عنه الخلاف الفكري والعقائدي والمذهبي والطائفي، وحتى أصحاب المذهب الواحد والفكر الواحد والطائفة الواحدة نجدهم مختلفين سياسياً بسبب الزعامة والوجاهة.

ويوجد هناك ثلاث نظريات سياسية رئيسية، وكلها لها علاقة بالثورة من حيث الخروج على الظالم، أو الخروج مع العادل كقيادة ثورية تكون البديل عن الظالم بعد إزالته واقتلاعه، وهذا الأمر ما فشلت فيه أغلب ثورات ما يُسمى بثورات الربيع العربي.

نظرية الأمر الواقع

خلاصة هذه النظرية هي أن ولاية أمر الأمة مجرد كرسي من وصل إليه أصبح ولي الأمر والخليفة والإمام، وواجب الطاعة وصاحب شرعية بغض النظر عن صلاحه

من فساده، وعن عدله من ظلمه، وبغض النظر عن كيفية وصوله إلى الحكم، وبغض النظر عن طريقة حكمه وعن كفاءته وأهليته.

وتعتمد هذه النظرية على عدة وسائل للوصول إلى الحكم منها الشورى التي لم تحدث أصلاً على أرض الواقع وهي افتراضية، وفيها إشكالية حيث لا يستطيع المسلمون الاجتماع للتشاور وهم أمة من المشرق حتى المغرب، وستبرز إشكالية من يحق له إبداء الرأي في الاختيار، والأمة اليوم عدة دول وعدة مذاهب وعدة طوائف، وهل حدث فعلاً أن تشاور الناس على أمر وخرجوا بحل، لقد اختلفوا في أمور كثير تتعلق بمعرفة الله تعالى وتوحيده وعدله ووعده ووعيده، واختلفوا في الصلاة والأذان والوضوء أفتراهم يتفقون على شخص هكذا بكل بساطة في أعقد أمر على مر التاريخ وفي الواقع على امتداد العالم؟!

وتعتمد هذه النظرية في الواقع على ولاية العهد والوراثة والملكية وحصر الحكم في الأسرة المالكة، كما وتعتمد على مبدأ الغلبة، بمعنى أن من وصل إلى الحكم بسفك الدماء وإثارة الفتن، والخروج على ولي الأمر المحرم الخروج عليه حسب النظرية نفسها - وهذا من التناقض – وهزمه أو قتله أصبح هذا الباغي والخارج ولي الأمر الشرعي بعد انتزاعه الولاية ممن كان قبله بالقوة والبطش، ثم تعطيه النظرية حصانة من المعارضة وتباركه باسم الله وتُغلّف حكمه بغلاف ديني وتحميه بالفتاوى.

وهذه النظرية ووسائلها هي التي ضربت الأمة ومزقتها وسفكت دماءها، وبها اعتلى بنو أمية عرشها وحصروا حكمها فيهم، فتوارثوه فيما بينهم حتى أزاحهم بنو العباس وحلوا محلهم، وحصروا الحكم فيهم وتوارثوه حتى صار الطفل منهم خليفة، وهكذا دول تتعاقب بهذه

الطريقة وصولاً إلى العثمانيين الذين مشوا على طريقة من سبقهم، إلى أن وصل الحال كما هو عليه اليوم من تعدد أولياء الأمر في الأمة حتى وصل عددهم إلى سبع وخمسين ولي أمر في وقت واحد، وكل يدّعي أنه شرعي وأن الله أمر بطاعته، وحول كل واحد علماء يشرعون لحكمه ويحرمون معارضته والخروج والثورة عليه، فهذا وصل إلى الحكم بانقلاب وذاك بولاية عهد وذلك بالوراثة وذاك بالاستعانة بالغرب وذاك بطريقة المسرحيات الانتخابية، وكلهم حسب نظرية الأمر الواقع في الحكم شرعيون واجبو الطاعة، وفتحت القتل والقتال على كرسي الحكم عبر التاريخ إلى اليوم فهي نظرية فتنة.

نظرية انتظار الفرج

خلاصة هذه النظرية أن أولياء أمر الأمة هم اثنا عشر إماماً وهم على **الترتيب:**

١. أميرُ المؤمنين الإمام عليٌّ بنُ أبي طالب

٢. الإمامُ الحسَنُ بن علي (المجتبى)

٣. الإمام الحسين بن علي سيدُ الشهداء

٤. الإمام عليٌّ بن الحسينُ بن علي زينُ العابدين

٥. الإمام محمدُ بن علي الباقر

٦. الإمام جعفرُ بن محمد الصادق

٧. الإمام موسى بن جعفر الكاظم

٨. الإمام علي بن موسى الرضا

٩. الإمام محمد بن علي الجوادُ

١٠. الإمام علي بن محمد الهادي

١١. الإمام الحسنُ بن علي العسكري

١٢. الإمام محمد بن الحسن المهديّ المنتظر، وحسب النظرية فمولده سنة ٢٥٥ هجرية وغاب غيبتين غيبة صغرى واستمرت حوالي سبعين عاماً لم يكن يتصل بالناس إلا عبر سفراءه الأربعة وغيبة كبرى من يوم وفاة السفير الرابع حتى يظهر فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، فهو غائب حي منذ سنة ٢٥٥ هجرية حتى اليوم ولا أحد يعلم مكانه إلا الله تعالى، وهو الإمام المعصوم وولي أمر المسلمين الشرعي، فلا يجوز أن يلي أمر الأمة أحد حتى يظهر فيحكمها وما عليها إلا انتظار الفرج بظهوره.

ومنشأ هذه النظرية كما يقول أصحابها أحاديث عن رسول الله ﷺ حيث نص على هؤلاء الاثني عشر إماماً بأسمائهم وخالفهم في ذاك بقية المسلمين ولم يعترفوا بتلك الأحاديث، ويقول غيرهم أن منشأها وبدايتها له

علاقة بثورة الإمام زيد بن علي عليه السلام كما في كتب التاريخ والسير، حيث بايعه قوم للقيام بمسؤوليتهم الدينية وأداء واجبهم الجهادي والثوري وتكليفهم الشرعي الذي تمليه عليهم عقيدة العدل والفطرة، ولكنهم تراجعوا في آخر اللحظات خوفاً من السلطات الأموية آنذاك، فجبنوا عن الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهربوا من المسؤولية بالقول أن الإمام زيداً عليه السلام ليس الإمام وإنما الإمام هو جعفر الصادق عليه السلام، وقد حدث هذا الموقف من أولئك القوم في قصة مشهورة سماهم الإمام زيد عليه السلام بالرافضة وسيأتي الحديث عن هذا الموقف وعن تسمية الرافضة في سياقه.

ولهذه النظرية التي خذلت الثورات المتلاحقة على خطى كربلاء شطحات، حيث اعتبرت الأئمة الاثني عشر معصومين بالنص والتعيين، وأفضل من الملائكة

المقربين ومن الأنبياء والمرسلين باستثناء خاتمهم رسول الله ﷺ، ونسبت إليهم علم الغيب والولاية التكوينية التي تتحكم في ذرات الكون وغيرها مما يتعارض مع القرآن الكريم ومع العقل والمنطق.

ولكن حصل تحول إيجابي في هذه النظرية في قضية الانتظار للمهدي المنتظر الغائب حسب النظرية، وعاد كثير من معتقديها إلى حضن الثورة والجهاد والقيام بالمسؤولية بقيام الثورة الإسلامية في إيران، وانتصارها بقيادة مرجعها الإمام الخميني رحمه الله الذي توصل إلى نظرية ولاية الفقيه، وما ترتب على انتصار الثورة من ظهور حزب الله في لبنان كمقاومة إسلامية وكقوة جهادية أصبحت فخراً لكل الأمة الإسلامية.

ومضمون ولاية الفقيه أنها تعاملت مع الواقع، وأعطت الفقيه العالم المجتهد على مذهب الجعفرية ولاية على الأمة كنيابة عن المهدي المنتظر الحي الغائب، لبناء دولة

قوية عادلة يستلمها الإمام المهدي حال ظهوره، ويُطلق على الولي الفقيه كالخميني والخامنئي نائب الإمام المهدي، وخرجوا عملياً عن الحصر في الاثني عشر وأصبح لهم إمامان جديدان الإمام الخميني والإمام الخامنئي.

طبعاً ليس كل الشيعة الاثني عشرية يؤمنون بولاية الفقيه لكن جزء كبير منهم كذلك، وهذه النظرية اعتراف بقصور النظرية الأصل في ترك الأمة مئات السنين بلا إمام ولا حكم ولا ثورة، ووقعت في طاعة الظالم وحرمة الخروج عليه قبل ظهور الإمام المهدي، حيث لا تجوز الثورة إلا تحت قيادته، ومن ناحية أخرى هو اعتراف غير مباشر بخطأ تاريخي وعقائدي وفكري كلّف الأمة الكثير ودفعت ثمناً باهضاً لذلك، ومع ذلك تبقى هذه النظرية غير عملية بالنسبة لحجم الأمة، لأنها مبنية على أن هناك مهدي حي غائب سيخرج في يوم ما

لاستلام زمام الأمور، والولي الفقيه نائبه، وغير معروف كيف أناب المهدي الولي الفقيه عنه؟! وهذه النظرية محدودة لأنها غير واسعة الأفق وغير منطقية وتحتاج إلى تعميم المذهب الاثنى عشري على الأمة حتى تتقبل فكرة الولي الفقيه وهذا ما لا يمكن أن يتحقق.

نظرية الجهاد والاجتهاد

خلاصة هذه النظرية أن من يلي أمر الأمة يجب أن يكون:

شخصاً مكلفاً - بالغاً عاقلاً - فلا تجوز ولاية الطفل ولا المجنون.

ذكراً، فلا تجوز ولاية النساء.

حراً، فلا تجوز ولاية العبيد.

سليم الحواس والأطراف، فلا تجوز ولاية المشلول

ومن فقد أحد الحواس الخمس أو أحد أطرافه.

عالماً مجتهداً في الدين وبما تحتاجه الأمة، فلا تجوز ولاية الجاهل.

عدلاً ورعاً فاضلاً نزيهاً ليس في تاريخه سوابق سيئة، فلا تجوز ولاية الفاسق والظالم والفاسد.

سخياً كريماً فلا تجوز، ولاية البخيل أو المسرف والمبذر.

مدبراً سياسياً محنكاً حكيماً كفؤاً أكثر رأيه الإصابة، فلا تجوز ولاية من لا يفهم في السياسة والقيادة والإدارة.

شجاعاً بطلاً مقداماً لديه القدرة على قيادة الجيوش وإدارة المعارك والتدبير في الحرب ورفع معنويات الأمة، فلا تجوز ولاية الجبان.

علوياً فاطمياً - من أهل البيت من البطنين من ذرية الحسن أو الحسين - فلا تجوز ولاية غيرهم.

لم يسبقه إمام استوفى الشروط السابقة بايعه الناس والتفوا حوله، فلا تجوز معارضته .

ومن خلال النظرية السابقة فإن الإمام ولي أمر المسلمين، ليس معصوماً ولا منصوصاً عليه بعد الإمام علي والحسنين عليهما السلام، وفي نفس الوقت ليس ظالماً ولا فاسقاً وليس غائباً بل ظاهراً، وتجري عليه الأحكام القضائية كما تجري على أبسط إنسان في دولته، واللافت في هذه النظرية هو مبدأ الكفاءة والواقعية فكما في أي شركة من أهم شروط إدارتها لتكون ناجحة الكفاءة والخبرة والمؤهل، والأمة أكبر من شركة أو مؤسسة، فلا يمكن أن يأتي فلاح مثلاً ويستولي على طائرة وبمجرد استيلائه عليها أصبح قادراً على قيادتها والطيران بها.

وتعتمد هذ النظرية على أمرين للوصول إلى حكم الأمة، وهما الدعوة والخروج على الظالم أو اختيار أهل

الحل والعقد، وبهذا لا يصير الإمام ولي أمر الأمة إماماً تلقائياً بمجرد الوصول إلى الحكم، بل بالقيام بأعباء الإمامة وتحمل المسؤولية في الظروف القاسية وفي وقت تخلي الجميع عن مسؤوليتهم، فيخرج في وجه الظالم من أجل إقامة العدل والشريعة، ويعرّض نفسه للخطر ويضحي بروحه، وفي كثير من الأحيان يرقى إلى السماء شهيداً قد أدى واجبه وقام بمسؤوليته وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأقام الحجة وأبرأ ذمته وجاهد في سبيل الله.

ومن هنا فإن الالتفاف حول القائم المتحمل للمسؤولية واجب ومسؤولية، وتركه والتعذر بأنه ليس الإمام والجمود مع شخص قاعد بحجة أنه هو الإمام لا يعفي من المسؤولية، وهذا العذر هو ما يضرب الأمة إلى اليوم، وهو أن كل مجموعة من الناس يتمحورون حول عالم قاعد ويقدسونه ويعطونه حق الطاعة والاتباع والولاء.

ويُؤخذ على هذه النظرية أنه لا توجد آليه عملية معينة

لانتقال ولاية الأمر والحكم من الإمام المتوفى إلى من يليه، وفي هذه النقطة حصلت حروب بين أبناء الإمام المتوفى والإمام الجديد، بالإضافة أنه كان يتعارض أكثر من إمام في وقت واحد ويحصل بينهم قتال، وهنا يجب التوضيح في حال التعارض فيما مر مِن التاريخ مَنْ هو الإمام الشرعي ومَن هو الباغي؟ ومَن هو الإمام الظالم؟ ومَن هو العادل الذي خرج وثار عليه؟ وعلى العموم فهذا المأخذ أقل سوءاً من تعارض أكثر من سبعة وخمسين ولي أمر في عصرنا الحاضر، ولا ينتقد من ينتقد تعارض إمامين أو ثلاثة أو حتى أربعة في عصر واحد في فترة تاريخية معينة، تعارض الحكام في عصرنا هذا، بل يُشرّع للجميع ويدافع عن الجميع، ويفتي في الدولة الفلانية على ضرورة الشعب في الدولة الفلانية الأخرى بطاعة ولي أمرهم وهكذا دواليك.

كما أن من المآخذ على هذه النظرية أنه كان في

بعض الفترات يكون الخروج والثورة من أجل السلطة والوصول إليها بالغلبة، وتصبح الإمامة كالملك العضوض ويصبح الحاكم ظالماً، ويقمع مبدأ الثورة عليه بحجة أنه من أصحاب هذا الفكر، والواجب تنزيه النظرية من مثل هؤلاء وعدم الدفاع عنهم أو تلميعهم أو تصحيح مواقفهم المتضادة حتى لا تتشوه هذه النظرية العظيمة.

ومما تجدر الإشارة إليه هو الحصر في أهل البيت عليهم السلام – في البطنين في ذرية الحسن الحسين – حيث يعتبره أصحاب النظرية شرط صلاحية، بمعنى أن ولاية أمر الأمة لا تجوز في غير الهاشمي الفاطمي الحسني أو الحسيني، وهذا الشرط هو مرتبط أساساً بالشروط الأخرى فلا يجوز ولاية الهاشمي الحسني أو الحسني حسب النظرية من لم يستوفِ الشروط كلها، فلا تجوز ولاية الهاشمي الظالم والجبان والجاهل و...الخ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التشنيع الذي يُشنّ على هذا

الشرط بحجة أنها وراثية وملكية مستدلين بأن الإمامة كانت تنحصر في بعض البيوت والأسر الهاشمية وبالأخص في اليمن، فالقول فيه إنه إذا كان التوارث مجرداً من استيفاء الشروط فهو مذموم قطعاً، أما إذا تحققت الشروط فليس سبب الإمامة التوارث وإنما اكتمال الشروط وهذا لا إشكال فيه، وفعلاً ما حصل في الفترة المتأخرة من جعلها وراثية ملكية يتوارثها أبناء وأحفاد الإمام لمجرد أنهم أبناءه وأحفاده، وتسمية الدولة بالمملكة وتنصيب الإمام لولده لولاية العهد من بعده وولي العهد من بعد أن يصير حاكماً ينصب ولده أيضاً لولاية العهد من بعده، قد أساء وشوه مفهوم الإمامة وزهّد فيها وقصم ظهرها وخالفها مخالفة صريحة، وتحولت إلى نظرية الأمر الواقع وهو ما يجب الاعتراف بهذا الخطأ الجسيم، وللأسف فمن ينتقدون بشدة الإمامة بسبب بعض الأخطاء هم أنفسهم من يقدسون ملكية ووراثية

بـني أميـة وبـني العبـاس وآل سـعود وغيرهـم مـن الأسـر المالكـة المعاصـرة، ولا ينتقـدون ذلـك رغـم سـوء هـؤلاء الملوك وظلمهم، ولا يتنبه أن هنـاك فـرق بـين الـشخص مـن أهـل البيـت الكفـوء والعـادل والعـالم و ...الخ والـذي يُجَـوِّز الخـروج عليـه إذا ظلـم ويخـط بيـده وجـوب الثـورة عليـه إذا خـالف، وبـين الظـالم الـذي يحـرم الخـروج والثـورة علـى نفـسه، بالإضـافة أنهـم قـد حـصروا الإمامـة في قـريش وعملـوا بهـا وشـرّعوا لـبني أميـة وبـني العبـاس بـذلك ويقدسـونها، أضـف أنهـم حـصروا الـدين الإسـلامي بكلـه في أربعـة أشـخاص فـضلاء هـم أصـحاب المـذاهب الأربعـة بـدون أي حجـة ولا دليـل أو برهـان، بـل لقـد حـصروا الإسـلام في مـذهب محمـد بـن عبـد الوهـاب النجـدي الـذي فيـه مـا فيـه مـن الـتكفير والغلـو والتطـرف والفتنـة، والعجيـب أيـضاً أنهـم لا يمـانعون مـن الهـاشمي الظـالم ويؤيدونه ويحرمون الخروج عليه.

ومسألة أهل البيت عليهم السلام وشرط البطنين هو بحاجة إلى مزيد تأمل، حيث إن أهل البيت وذريتهم اليوم قد أصبحوا ملايين ويتوزعون على أغلب الدول والمذاهب والطوائف والقوميات واللغات، والقلة في هذا العصر يحملون هذه النظرية منهم وفي اليمن بالذات، ومن هنا يجب التركيز على مسألة المنهج والعدالة لا على مسالة الحصر والنسب، لأن في النظرية نفسها وبالخصوص في جزئها العملي ما يجعلها نظرية نموذجية على مستوى الأمة الإسلامية، بل و كرؤية إسلامية سياسية عالمية، وذلك أنه لم يخرج أحد من المعتبرين من أهل البيت عليهم السلام لأنه هاشمي علوي فاطمي، يعني من أجل انتسابه لأهل البيت ومن خرج عليه لأنه غير ذلك، بل عدل ضد ظلم، هذا أمر، والأمر الثاني أنهم لا يفسقون من لم يقل بإمامتهم ولا يخرجون على الحاكم العادل من غيرهم، ويخرجون على الظالم منهم، ولا يفرضون إمامتهم على

الأمة بل الأمة هي من تدعوهم وتلتف حولهم، فالإمام زيد عليه السلام لم يكن إماماً ولا صار إماماً إلا بعد أن ألزمه الناس الحجة، وطالبوه بالخروج ثم بايعوه وأعطوه العهود والمواثيق، والإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين لم يكن إماماً ولا صار كذلك إلا بعد أن ذهب اليمنيون إليه في بيته في المدينة المنورة وطلبوا منه الحضور إليهم ليصلح شأنهم، فخرج إلى اليمن ثم عاد إلى المدينة المنورة حين لم يستجيبوا له في إقامة الحدود على الجميع دون تمييز بين وضيع وشريف، ثم رجعوا إليه مرة أخرى إلى المدينة بدعوة من ملك اليمن آن ذاك وطلبوا منه العودة إليهم وأعطوه العهود والمواثيق، وعاد بأهله وبعض أصحابه ولم يعد بجيش، وأول ما قام به الإصلاح بين القبائل المتناحرة فبايعوه، وهذا أرقى أساليب الوصول إلى الحكم برغبة الناس والتفافهم بدون فرض، وأجمل ما في النظرية على الإطلاق أنه طالما أن الوصول إلى الحكم

فيها بالدعوة إلى إقامة الشريعة وبسط العدل وبالخروج على الظالم، فإنه حين تكون الشريعة مقامة والعدل مبسوط والحاكم عادل فإنه لا مبرر للدعوة ولا للخروج، ويكون أهل البيت عوناً للعادل ولو كان من غيرهم ويؤيدونه، وفترة الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز - وهو أموي - شاهدة على ذلك، لأن الحكم والسلطة عندهم وسيلة لتحقيق غاية العدل والحق، وطالما الغاية متحققة فهو مرادهم، وطالما والعدل جوهري في هذه النظرية فلتطالب الأمة به وسيطالب معهم أهل البيت، وحين يتحقق ولو على يد غيرهم فإنه لا يخرجون ولا يطالبون بشيء، بل هم في طليعة المضحين من أجله.

وعلى كلٍّ فالتقديس للحكام بشكل عام ومن الجميع وسواء تقديس الظالم منهم أو العادل، والتحسس من نقدهم نقداً بناء أو من النصح لهم أومن قول كلمة الحق عندهم، قد جر الويلات على الأمة وساهم في

فسادهم وتجبرهم، لأن الإمام ولي الأمر في الحقيقة بشر يخطئ ويصيب، وتجري عليه الأحكام قبل غيره ويخضع للمساءلة القضائية كأبسط شخص في دولته لا فرق بينهما في هذا الجانب.

الفرق بين الثورة في الإسلام والثورة المذهبية

أول سمة من سمات النهج الثوري في الإسلام هو شموليته وتكامله وإنسانيته ونبل أهدافه وغاياته، فهو نهج بحجم الأمة لا بحجم المذهب، وهذا يفسّر إخفاق كثير من الحركات الإسلامية، التي هي في حقيقة أمرها واستناداً لحركتها في الواقع وأدبياتها، هي حركات مذهبية وطائفية ومسيئة للإسلام، وتستهدف نصرة من يؤيدها في الفكر والعقيدة، وتتحرك في دائرة أتباعها متنكرة لغيرها من المسلمين، ولهذا سقطت سقوطاً مدوياً وزادت الناس يأساً وإحباطاً، وأفقدت

الكثير منهم ثقتهم في دينهم وتطور بعضها إلى أن أصبحت تكفيرية لا ترقب في مؤمن إلّاً ولا ذمة.

وتُعتبر ثورة الإمام زيد بن علي عليه السلام - الامتداد الحقيقي لثورة الإمام الحسين عليه السلام - النموذج الكامل للثورة الإسلامية الإصلاحية التصحيحية لواقع الأمة، فكانت النموذج في قيادتها وفي وسطية فكرها وأدبياتها وفي أهدافها وأسلوبها.

قيادة الثورة وإمامة الأمة

شخصية القائد هي شخصية فريدة من نوعها وتتصف بالكفاءة والأهلية، فهي شخصية بحجم الأمة، وليست شخصية مذهبية ولا فئوية ولا طائفية، ولا جهوية ولا حزبية ولا قبلية ولا سلالية ولا عنصرية، وهذا ما مثّله الإمام زيد بن علي عليه السلام في ثورته التي أشعلت جذوة الثورة لدى الأمة حتى اليوم، والذي أيّدها العلماء

والفقهاء والقراء والمحدثون والفضلاء والصلحاء والعباد، وضعفة الناس والفقراء والمساكين من مختلف الفرق والطوائف آنذاك، باستثناء البعض ممن كان يدور في فلك السلطة، ومن أبرز مؤيديها الإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي بتأييدهم له وتأييدهم للمسار الثوري الذي اختطه، ومن ثار على نهجه من بعده، كما أيّدها الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي أذن له الإمام زيد عليه السلام بالقعود وكلّفه بمهمة رعاية أهل البيت في المدينة، كما وأيّد الثورات من بعده الإمام موسى الكاظم عليه السلام وكانوا يرسلون أبناءهم للجهاد فيها، ولهذا فشخصية وقيادة الإمام زيد عليه السلام وإمامته أجمعت عليها الأمة، ولهذا لا نعجب من محاولات جعل الإمام زيد عليه السلام تارة سنياً وتارة اثني عشرياً، ولا غرابة أن تُسمى الزيدية من بعده سنة الشيعة وشيعة السنة، وأن يكون لفكره عليه السلام مشتركات مع أغلب المذاهب الإسلامية الفاعلة في

الساحة، وخطوط تواصل مع الجميع، لأنه حين ثار عليه السلام لم يكن هناك شيء اسمه الزيدية حتى يكون إماماً لهم وحدهم أو يثور من أجلهم، بل لم يأت هذا المسمى إلا لتمييز الأحرار والثوار من غيرهم فهو بحق إمام الأمة والأئمة.

والخلاصة أن قيادة الثورة في الإسلام أو الحاكم على الأمة، هو شخصية تتعامل مع الجميع من منطلق الإسلام، ولا اعتبار للمذهب أو الطائفة عنده، ولا يُفرّق بين أبناء الأمة بسبب الانتماء العرقي أو المذهبي أو الطائفي أو القبلي لأنه للجميع وحريص على الكل.

الفكر الوسطي

من أهم الأمور التي تواجهها أي ثورة هي القضايا الحساسة التي يختلف عليها الناس، وارتباطها بالأحداث التاريخية التي بُنيت عليها، ولعل ما يفسد كثيراً من

الثورات هو عدم وجود الرؤية الواضحة تجاه هذه القضايا بما لا يُخرج عن الحق، وتأتي في مقدمة هذه القضايا هي ما يتعلق بالخلاف السياسي التاريخي بعد وفاة الرسول ﷺ، والموقف من خلافة من تقدم الإمام علياً عليه السلام من الصحابة، الذين كانوا ممن سبق إلى الإيمان وجاهد مع رسول الله ﷺ، وكل الطائفية وأصلها تأتي من هذا المدخل وما يتعلق به من الموقف من الصحابة ومن أهل البيت، ومن بين متشدد في شأن الصحابة والمغالاة فيهم وعصمهم من الخطأ، بمفهوم أنهم كلهم عدول وعملهم كله صحيح وهو نابع عن اجتهاد، وما رافقه من إجحاف في حق أهل البيت وتوهين من أمرهم، والدفاع عن من ظلمهم وتقديس من قتلهم وسبهم وشردهم، وبين فريق آخر يكفّر الصحابة ومن تقدم الإمام علياً بالخلافة، ويفسقهم ويسبهم ويتبرأ منهم، وينسب إليهم الردة عن الإسلام، وما رافقه من الغلو في أهل البيت وبالخصوص

اثنا عشر شخصاً منهم معصومون، وبأنهم أفضل من الأنبياء والملائكة إلى غيره من الغلو، حتى أثرت هذه الطائفية والمذهبية على العقيدة في الله تعالى، يبرز فكر الإمام زيد عليه السلام فكر الثورة والجهاد بوسطيته وتوازنه وأحقيته، فلا إفراط فيه ولا تفريط ففيما يتعلق بالصحابة، فنظرته أنهم مجتمع بشري كانوا أهل شرك فهداهم الله تعالى بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم فنالوا شرف صحبته ونصرته والاستشهاد بين يديه، وبذل المال والروح والولد فداء له وللإسلام، وهم المهاجرون والأنصار ولهم فضلهم وسابقتهم، وليس منهم الطلقاء، وهم غير معصومين يخطئون ويصيبون وفيهم المحسن وفيهم المسيء، ومنهم من نافق كعبدالله بن أبي وفيهم من أُقيم عليه حد من حدود الله، وفيما يتعلق بمن تقدم الإمام علياً عليه السلام بالخلافة التي هي استحقاقه الشرعي، فتقدمهم خطأ ولكن لهم سابقة الإيمان، فلا سب ولا براءة منهم، فإما

توقف عن الترضية عنهم دون سب أو ترضية مع التخطئة، مع الاعتراض على من يسب ولا اعتراض على من يرضي، وفيما يتعلق بأهل البيت فليسوا معصومين وهم بشر يخطئون ويصيبون، ولكن لا يجتمعون على خطأ ولهم فضلهم وقدرهم ومقامهم الجليل، وقد خرج مع الإمام زيد عليه السلام كثير ممن يقدم أبا بكر وعمر وعثمان ويفضلهم على الإمام علي عليه السلام كالمعتزلة، وتأييد من يعتقدون ذلك أيضاً كأبي حنيفة ومالك والشافعي وغريهم من الفضلاء والفقهاء والعلماء.

وخطر الطائفية هو التحسس المفرط والفرز حسب الموقف من القضايا السابقة، والاعتراض الفج والجدل العقيم وعدم الاعتراف بالآخر وفكره، والطائفية لا تقتصر على جهة دون أخرى، فكل من بنى موقفه من الآخر على قضية خلافية فهو طائفي، والغريب أننا نتكلم كثيراً عن خطر الطائفية وأننا نريد الأمة كل الأمة ووحدتها، وفي ممارساتنا بمجرد قضية واحدة

ننسف بتعاملنا كل ما نتكلم به وندعو إليه، فمن يتحسس من قضية أبي بكر وعمر ويوالي ويعادي بسببها، هو نفس من يتحسس من قضية الإمام علي ويوالي ويعادي بسببها، فكيف نحترم بعضنا البعض! وكيف ينظر من يعتقد أفضلية وأحقية الإمام علي ويخطئ من تقدمه بالخلافة، إلى من يعتقد أفضلية أبي بكر وعمر ويعتقد أحقيتهما في الخلافة كالشافعية والحنفية والمالكية ومعتدلة الحنابلة! وبالمقابل كيف ينظر من يعتقد أفضلية أبي بكر وعمر ويعتقد أحقيتهما في الخلافة إلى من يعتقد أفضلية وأحقية الإمام علي ويخطئ من تقدمه بالخلافة! هل نتبرأ من بعضنا البعض وكلنا مسلمون! وبالخصوص في الوقت الراهن وفي مسيرة الثورة وفي ظل أوضاع الأمة المتردية وسوء أوضاعها الداخلية، كون الطائفية هي الثغرة الكبيرة التي يدخل منها العدو الصهيوني إلى داخل الأمة ليمزق ويفتن ويفرق ويُفشل الثورات، ونبقى نتصارع في التاريخ وفي بطون

الكتب وعلى المنابر، وهو قد صرعنا وأخذ منا ولاية أمرنا ويحكمنا ويعين من يشاء وينص على من يريد ويعزل هذا ويرفع هذا، ويتدخل على خط الثورات ويوجهها حسب مصالحه وبما يعود بالنفع عليه ويُحصّن إسرائيل.

وهذا الفكر الإسلامي الوسطي ملتزم وحريص على وحدة الأمة وتعاطيه المسؤول مع واقعها وحاضرها، وشد انتباه الأمة إلى مواجهة أعدائها وخصوصاً فيما يتعلق بعملائهم في الداخل من سلطات وحكومات، وما يتعلق بالأعداء الخارجيين والأجانب وبالخصوص ما يتعلق بقضية فلسطين قضية الأمة الأولى والمركزية.

والعجب أن هناك محاولات للتقريب بين المذاهب والمناداة بالوحدة الإسلامية، والعمل في هذا الإطار وصوب هذا الاتجاه، وأُنشئت لذلك المؤسسات وهي لا تجعل هذا الفكر الوسطي منطلقاً لها بل تغيبه وتتحس منه، ويذهب من هم على طرفي نقيض للتقارب من

الأطـراف ويتركـون الوسـط الـذي يمثلـه هـذا الفكـر العظيم والذي يمكن أن يلتقوا عنده.

والأعجب مـن ذلـك الحـديث عـن الـصحوة الإسـلامية دون الإشـارة إلى هـذا الفكـر الثوري الجهـادي، الـذي لم يفتأ قط ولم ينم أبداً، والاستدلال بتاريخ لا يتجـاوز عمـره أربعـين سـنة، وتركـوا الاسـتفادة أصـلاً مـن الـصحوة الإسـلامية بنموذجهـا الحـسيني الزيـدي الـذي تـرك وراءه تاريخـاً مليئـاً بالعظمـاء والقـادة والثـورات والـشهداء والانتصارات والإنجازات والمكاسب .

محنة التكفير

مـن أبـرز التحـديات الـتي تواجـه الأمـة في ثوراتهـا وفي توحـدها هـو الفكـر الـتكفيري، وأعمـال الـتكفيرين الذين لا يمتلكون بصيرة ولا وعياً، واللافت أن مـن أبـرز أسباب التكفير هي عدم الوضوح فيما يتعلق بالخلافات

الداخلية في الأمة الإسلامية، والتساهل العقائدي في الفكر الذي صنعه الظالمون كمبرر لظلمهم - كما ذكرنا في البداية- أن الإيمان قول بلا عمل وأن من ارتكب الكبائر سيشفع له النبي ﷺ، وأنه ما زال مؤمناً سيدخل الجنة وإن لم يتب، وأن الله قدّر المعاصي وخلقها وأجبر العباد عليها، وأن طاعة الظالم واجبة وإن أخذ الأموال وقصم الظهور، وأن الثورة عليه محرمة ما لم يُظهر كفراً مباحاً، ولأن الناس بشر يختلفون مع بعضهم البعض أو تحتم مصلحتهم الوقوف في وجه بعض، أو تدفعهم الظروف إلى الخروج والثورة على الحكام كما حصل في السنوات الماضية بحق أو بدون حق، وعقيدتهم تحرم ذلك وتصف الجميع بالإيمان وتعدهم بالجنة مهما عصوا وارتكبوا الكبائر، يتمسكون بهذه العقائد كونها تحاكي أهوائهم فيلجئون إلى تكفير خصومهم كمبرر لقتلهم وسحقهم - وهو في الحقيقية غير مبرر بالنسبة للكفار الحقيقين لأن الإسلام أخلاقيّ

حتى في القتال وإنساني في الحرب - وإلى تكفير الحكام الذين يريدون الخروج عليهم كذريعة للخروج من إلزامات عقائدهم، بالإضافة إلى تغذية الأعداء للخلافات وتوسيع الهوة بين المسلمين، وتوفير البيئة الحاضنة الدولية والإقليمية والمحلية لهم وصناعتهم بالشكل الذي يريدون، وهنا تبرز عظمة فكر الثورة الذي يقول ويعتقد بالخروج على الظالم دون تكفيره، فيخرج عليه لأنه ظالم غير كافر، ولا يُكفّرون من معه ومن في صفه، وللإمام زيد عليه السلام مقولة مشهورة تعالج هذا الموضوع وهي: (عباد اللّه ! لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل اللّه، ولكن البصيرة .. البصيرة ثم القتال، فإن اللّه يجازي عن اليقين أفضل جزاء يجزي به على حق، إنه من قتل نفسًا يشك في ضلالتها كمن قتل نفسًا بغير حق. عباد اللّه البصيرة .. البصيرة).

فالبصيرة هي أن يتأكد المسلم أنه يقف الموقف الصحيح ويقاتل مع قائد شرعي مؤمن تقي، ويقاتل في

المكان الصحيح ويقاتل بالأخلاق الصحيحة وبالأساليب المشروعة، فلا تفخيخ ولا أحزمة ناسفة ولا غدر ولا قتل أبرياء، مع إعطاء خط رجعة لمن عاد إلى رشده، ولا كذب ولا شحن مذهبي ولا تعبئة طائفية أو حزبية أو مناطقية أو عنصرية، بل وعي كامل ونية سليمة صافية صادقة وحرص شديد على الناس وعلى هدايتهم حتى من يقاتلهم، ولا يأخذ أحداً بذنب أحد بحجة الانتماء المذهبي أو الطائفي، فالبصيرة هي الإجابة الصحيحة لعدة أسئلة مثل: لماذا أثور؟ وما هي أهدافي؟ وما غايتي وقصدي ونيتي؟ ومع من أثور؟ وكيف أثور؟ وضد من أثور؟

الرافضة

ارتبط هذا المفهوم في أذهان كثيرين بالمقلوب فأصبح من يثور يطلق عليه رافضي، رغم أن الرافضة هي من رفضت الجهاد والثورة ضد الظالمين، والأعجب منه أنه يُطلق على من يتحرك في مواجهة الصهيونية ويقف ضد سياسيات الولايات المتحدة الأمريكية .

وقبل الولوج في مناقشة هذا المفهوم لا بد من توضيح بداية ظهور هذه التسمية وملابساتها، وحيث أن لها علاقة بالثورة في الإسلام وبثورة الإمام زيد بن علي عليه السلام بالذات، وباختصار فأول من أطلقها هو الإمام زيد عليه السلام نفسه على قوم تراجعوا في اللحظات الأخيرة خوفاً وجبناً عن الجهاد معه والمشاركة في ثورته، واختلقوا لذلك عذراً ومبرراً أنه ليس الإمام وإنما هو جعفر الصادق عليه السلام، وفي رواية أخرى ينكرها البعض لكن

سنناقشها على افتراض صحتها، وهي أنهم قالوا للإمام زيد رحمك الله! ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً، قالوا: فلم تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت، إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم! فقال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان رسول الله ﷺ من الناس أجمعين، وأن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة، قالوا: فلم يظلمك هؤلاء إذا كان أولئك لم يظلموك فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا بظالمين، فقال: إن هؤلاء ليسوا كأولئك إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم

أبيتم فلست عليكم بوكيل، ففارقوه ونكثوا بيعته، وقالوا: سبق الإمام، وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام، وكان قد توفي يومئذ، وكان ابنه جعفر بن محمد حياً، فقالوا: جعفر بن محمد إمامنا اليوم بعد أبيه، وهو أحق بالأمر بعد أبيه ولا نتبع زيد بن علي فليس بإمام فسماهم زيد الرافضة.

وكانت طائفة منهم قبل خروجه مروا إلى جعفر بن محمد بن علي، فقالوا له: (إن زيد بن علي فينا يبايع أفترى لنا أن نبايعه، فقال لهم: نعم بايعوه، فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا، فجاءوا فكتموا ما أمرهم به).

ومن خلال التأمل البسيط للرواية نجد **الآتي:**

أن الإمام زيداً عليه السلام أكد فيها على أفضلية الإمام علي عليه السلام وعلى أحقيته بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى أحقية أهل البيت عموما بقوله: (إنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الناس أجمعين).

وأيضاً وضح رؤيته المتوازنة في أبي بكر وعمر كونهما تقدما الإمام علياً عليه السلام بأنهم اخطئوا، ولكن لم يبلغوا بذلك عنده كفراً، وأشاد بعدلهم في الأمة ولم يتبرأ منهما ولا سبهما بل ترحم عليهما وذلك بقوله: (رحمهما الله و غفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما، ولا يقول فيهما إلا خيراً) وطلب المغفرة هي لمن أخطأ وعصى وأذنب، ويقول أيضاً: (إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الناس أجمعين، وأن القوم استأثروا علينا ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً قد ولوا فعدلوا في الناس وعملوا بالكتاب والسنة).

ويوضح عليه السلام أن لا مقارنة بينهما وبين الظالمين من بني أمية بقوله: (إن هؤلاء ليسوا كأولئك إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم).

كما وأهم ما ركّز عليه الإمام زيد في فكره الثوري والجهادي، وهو موضوع في غاية الأهمية ودرس لكل

الثوار وكل الأمة، هو أن هذا الموضوع ليس من أهداف الثورة، فلم يثر ويخرج على بني أمية من أجل خلافة الإمام علي عليه السلام ولا حتى من أجل إمامة أهل البيت، ولا ضد خلافة أبي بكر وعمر بل ضد من يظلم الأمة كلها، وهو عليه السلام وأهل البيت وكل الأمة وحتى الرافضة الذين رفضوه مظلومون وحتى الظالمين من بني أمية يظلمون أنفسهم أيضاً، وهذا قمة الوعي الثوري وأرقى الأهداف التي هي بحجم الأمة، فلذلك دعا من سماهم الرافضة فيما بعد إلى الثورة رغم موقفهم من أبي بكر وعمر، ولم يأمرهم بالتخلي عن رؤيتهم، دعاهم إلى الجهاد ووضح أن هدفه هدف إسلامي إنساني وليس طائفي مذهبي بقوله: (وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى السنن أن تحيا وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل) وفي هذا إلجام لمن يريد تحويل مفهوم

الرافضة ويجعل سبب تسمية الإمام زيد عليه السلام لهم بهذا الاسم رفضهم لخلافة الشيخين، حيث إن البعض للأسف يطلقون هذه التسمية ويصمون بالرفض بمجرد أن يفضل أحد الإمام علياً عليه السلام وهو مبدأ الإمام زيد نفسه، والعجيب أنهم بذلك يسمون الإمام زيداً بهذا التسمية من حيث يشعرون أو لا يشعرون كونه يؤمن بأحقية الإمام علي عليه السلام كما سلف ذكره في هذه الرواية، والأعجب أنهم يأخذون بتسمية الإمام زيد ثم يضللونه بسبب عقيدته ومواقفه وفكره السياسي، وبسبب ثورته وخروجه على الظالم الذي ما سمى الرافضة رافضه إلا لتركهم الجهاد معه، بل ويقدسون من خرج الإمام زيد عليهم ويعتبرونهم أولياء الأمر الشرعيين ويحرمون الخروج عليهم، وإن هؤلاء المتناقضين من أكثر من يسئ إلى الشيخين أبي بكر وعمر حيث يصورون أن أبا بكر وعمر كانوا بمثل أخلاقهم، وأن عقيدتهم مثل

اعتقاداتهم مع العلم أن عقيدة الشيخين في الله تعالى سليمة، ومثل عقيدة الإمام علي عليه السلام عقيدة التوحيد والعدل والوعد والوعيد وكان الإشكال فقط في العقيدة السياسية.

ثم إن التركيز على مفهوم الرافضة الذين لم يُقاتلوا الإمام زيداً عليه السلام، وإنما تخلوا عنه في ظرف حساس ولحظة حرجة غير منطقي أمام التساهل وعدم تسليط الأضواء على من قاتلوا الإمام زيداً، وجاهدهم الإمام وثار عليهم وقتلوه وقطعوا رأسه وصلبوه عارياً وأحرقوه وحتوه وذروا رماده في نهر الفرات والبساتين، لأن ذلك تمييع لقضية الثورة في الإسلام حيث يُشنع على الرافضة ولا يُشنع على قتلة الإمام زيد عليه السلام.

سيجول في الأذهان الآن تساؤل وهو هل كل من قال بإمامة الإمام جعفر الصادق عليه السلام وأنكر إمامة الإمام زيد عليه السلام رافضي طبقاً لسبب التسمية؟ وكيف

ذلك ومنهم اليوم من ثار ويثور كما صنع الشعب الإيراني في ثورته الإسلامية وكما يصنع حزب الله في جهاده ضد الصهيونية؟

والذي نستطيع قوله في الإجابة على هذه التساؤلات هو أن لفظ الرافضة ضد لفظ الجهاد الواعي والملتزم بأخلاق الإسلام، ومن هذا المنطلق فمن يجاهد منهم ويثور فلم يعد رافضي بل مجاهد مع حق عدم قبول الأفكار غير المنطقية لديه ويجب الاحترام الكامل والتأييد الجهادي له ضد أعداء الأمة، والدعم السياسي في هذا الجانب دون الذوبان في التفاصيل المذهبية عنده، وإذا كنا لا نرضى أن نتمذهب بفكرنا فبالأحرى أن لا ننحدر إلى مربع المذهبية والطائفية بفكر غيرنا، وإن من لا يجاهد حين تتوفر المعطيات للجهاد ممن يعتقد بإمامة الإمام زيد عليه السلام ويقعد ويتعذر ويتعلل بمتابعته شخص قاعد يقول أنه هو الأولى بالاتباع من الشخص القائم

الـذي أثبـت كفاءتـه وجدارتـه وأهليتـه فهـو رافـضي، والتاريخ يكـرر نفسه، والـذين مـن هـذا النـوع مـشكلتهم جهاديـة وليـست الإمامـة، ولـو قـام القاعـد الـذي يلتفـون حولـه لخـذلوه وتركـوه ولقـالوا – كمـا يحـصل في الواقـع المعاصـر أيـضاً - أن الواجـب اتبـاع قاعـد آخـر، فمثـل هـؤلاء لا يثـورون حتـى يـوم القيامـة لأنهـا نفـسية مترسـخة فيهم، فالذي يترك ويخذل القائم بالحق دون عـذر شـرعي قرآني فهو رافضي، والـذي يقاتـل داخـل الأمـة بـدون قائـد قائم بالحق يقاتل تحت رايته فهو خارجي من الخـوارج، إلا في حالة الدفاع عن النفس والمال والعرض.

الهدف الثوري

ليس الهدف في قيـام الثـورة في الإسـلام بـالخروج علـى الظالم هدف جزئي أو محدود، بل هو هدف عظيم شامل كـبير بحجـم الأمـة، فهـو أرقـى وأسمـى وأكـبر وأجـل

وأعظم من الهدف الحزبي أو السياسي أو المذهبي والطائفي، كما أنه ليس هدفاً انتقامياً ولا شخصياً للقائد ولا للثوار، لأنه إصلاح للأمة، وأيُّ هدف أعمّ وأكمل من إصلاح الأمة الذي اشتمل على أهم المجالات التي بصلاحها تصلح كل الأمة، ولهذا تمنى الإمام زيد عليه السلام لو أنه ممسك بالثريا ويقع على الأرض ويتقطع قطعة قطعة وأن الله يصلح به أمر الأمة الإسلامية وتمنى أيضاً لو يُقذف في نار من أجل هدف الإصلاح، وذلك في قوله: (والله لو أعلم أنه تؤجج لي نار بالحطب الجزل فأقذف فيها وأن الله أصلح لهذه الأمة أمرها لفعلت) إنه التفاني من أجل الغاية النبيلة وهو نفس هدف جده الحسين عليه السلام الذي قال: (والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله) وصلاح الأمة باستقامة دينها يقول الإمام الحسين عليه السلام أيضاً: (إن لم يستقم دين محمد إلا بقتلي فيا سيوف خذيني).

وتحقيق هذا الهدف العظيم يتمثل في عدة خطوات حددها الإمام زيد عليه السلام في برنامجه السياسي والإصلاحي التصحيحي ونصه يتمثل في دعوته بقوله: (إنا ندعوكم أيها الناس إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين، وقسم الفيء بين أهله، وردّ المظالم، ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا الحرب).

الخطوات العملية لإصلاح الأمة

❖ **الدعوة إلى كتاب الله وسنة نبيه** صلى الله عليه وآله وسلم بعلم وبصيرة، ولهذا يقول عليه السلام في رسالته لعلماء الأمة: (يا معاشر الفقهاء، ويا أهل الحجا، أنا حجة الله عليكم؛ هذه يدي مع أيديكم على أن نقيم حدود الله ونعمل بكتاب الله ونقسم فيئكم بالسوية، فسلوني عن معالم دينكم، فإن لم أنبئكم عما سألتم فولّوا من شئتم ممن علمتم أنه

أعلم مني) لأن العلم بالقران والسنة العلم النافع الذي ينفع الأمة من أهم شروط تحقيق هذا الهدف، ولذا كان من شروط ومواصفات القائد العِلْم، لأن علماء السوء قد كتموا الحق وداهنوا الظالمين، وما زالوا هكذا حتى زماننا هذا بفتاويهم الدموية وتدجينهم أبناء الأمة للظالمين، فكم تأوَّلوا القرآن بما يتناقض مع نصوصه، وكم اختلقوا أحاديث نسبوها إلى النبي الأكرم ﷺ تتعارض معه، وتدخّلوا في علم الجرح والتعديل حسب أهوائهم وأهواء الظالمين، فردوا وكذّبوا كل ما هو ضد الحكام وصححوا وحسنوا الموضوع الذي يخدمهم، ولهذا فالدعوة إلى القرآن والسنة بوعي وعلم وبصيرة والعمل بهما كفيل بتصحيح عقائد وأفكار الناس المغلوطة وهدايتهم إلى كل خير، وتهذيب أخلاقهم وجعلهم خير أمة أخرجت للناس بتطبيق التعاليم الإسلامية وإقامة الشريعة بوجهها المشرق والجذاب.

والدعوة إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ

تعطي الأمة أفقاً واسعاً ورحباً ومنفتحاً تحت سقف الحق فالدعوة بهذا الشكل أوسع من الدعوة إلى مذهب معين أو طائفة محددة، وتعالج الإشكال المذهبي الضيق والطائفي بين الناس، وتقدم معالجات فكرية وسلوكية وثقافية ومعالجات شاملة واقعية وعملية.

❖ **جهاد الظالمين والدفع عن المستضعفين** يعني الحفاظ على الكرامة الإنسانية، لأن الظالمين هم سبب محنة الأمة وهم من يهدرون كرامة المسلم والإنسان، وبقاؤهم استمرار للمأساة والمحنة والوضع السيء والمنحط، وجهادهم كلمة دينية تُنبئ عن أهمية إزالتهم ووجوبية مواجهتهم، لكن مع الأخذ في الاعتبار الدفع عن المستضعفين لاسترداد كرامتهم المهدورة، لأن الظالمين يستضعفون الناس وفي حال الثورات عليهم يفتكون كثيراً بهم لتخويفهم ومن أجل تحميل الثوار المسؤولية جراء ذلك، وكم قامت ثورات بجهاد الظالمين دون الدفع

عن المستضعفين فكانت أنصاف ثورات، لأن الثورة إذا لم تتتبع أحوال المستضعفين والمظلومين وتنصفهم وتخرجهم من السجون وتفكهم من الاعتقال، وتتتبع أثر المخفيين قسراً منهم وتفك أسرهم فهي ثورة مشوهه بل لا تستحق تسمية الثورة.

كما أن الثورة لا بد أن تُقدّم خلال مسيرتها ومراحلها للناس الإنصاف والعدل ومحاسبة الثوار والمجاهدين إن أخطئوا، وإنصاف الناس منهم إذا ظلموا، وتغيير النظام من نظام ظالم إلى عادل، والحرص على تقديم صورة مشرفة للثورة الإسلامية التي تُنسب إلى الإسلام وتتبع من صميمه وأصالته، لأن أخطر شيء على الثورات في نظر الناس هو ظلم الناس باسم الثورة لأنه ظلم أسوء من ظلم الظالم الذي قامت الثورة عليه، وهذا ما أفشل كثيراً من الثورات التي تحولت من ثورات ذات قيم وأخلاق وسلوك إلى ثورات شعارات براقة ووعود رنانة وفي ممارساتها وواقعها ما يُناقض مبادئها وأدبياتها.

❖ **قسم الفيء بين بأهله** وهذا يعني العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة بين الناس حسب الاستحقاق الشرعي، لأن الظالمين يأخذون أموال الدولة ويضاعفون الضرائب على الشعوب، ولا يكتفون بذلك بل يأخذون أموال الناس الخاصة بهم وينفقونها على نزواتهم ويكنزونها لأنفسهم، ويسحقون الناس بسياسة الإفقار والتجويع والترغيب والترهيب، فيختل النظام الاجتماعي وتكثر الجريمة، وقسمة الفيء بين أهله يدخل فيه في هذا الزمان كل الموارد العامة للدولة والشعب من جمارك وضرائب وثروات نفطية ومعدنية وسمكية وأيّ دخل للأمة وهو إصلاح اقتصادي شامل، ويعني أيضاً القضاء على الفساد المستشري في المؤسسات الحكومية والتابعة للدولة والعامة ووقف العبث بأموال الدولة وخزينتها، والتوقف الفوري عن العامل بالربا بأي شكل من الأشكال، كما أن قسمة الفيء بين أهله يمنع كذلك المسؤولين الجدد الذين أتت بهم الثورة من ممارسة الفساد

وتفعيل أجهزة الرقابة والمحاسبة والقضاء وأن لا يتم تعيين المسؤولين إلا بمعيار الكفاءة والنزاهة، وإذا أخل أي مسؤول بواجبه أو مارس فساداً مالياً أو إدارياً أو استغل منصبه استغلالاً غير مشروع فيجب عزله ومحاسبته وتقديمه للمحاكمة حتى يكون عبرة لغيره، وحتى يلمس الناس تغييراً حقيقياً ويحافظوا على الثورة ويحموها، لأنه إذا استمر الفساد أو مورس الفساد باسم التغيير والثورة فذلك إساءة بالغة وتشويه كبير إلى معنى الثورة، ويحتاج الناس إلى ثورة ضد الثورة.

❖ **رد المظالم** بمختلف أشكالها التي ظلم الظالم الناس بها والتي تظالم الناس فيما بينهم، ورد المظالم يعني الإنصاف ورد الحقوق المنهوبة لأصحابها، وإذا لم تكن الثورة من أجل ذلك فما قيمتها أصلاً، وهذه الخطوة من أهم الخطوات التي يلمسها الناس ويشعرون بها، وبأن هناك تغيير إيجابي وحقيقي مما يدفع بالناس إلى دعم

الثورة والحفاظ عليها، فرد المظالم من أهم الأمور ومن واجبات الثورة البحث عن المظلوم وتنصفه والمنهوب وتعطيه حقة، ولا يجوز بتاتاً المماطلة في ذلك أو التهاون مع الظالمين للناس من النافذين في النظام الظالم بأي حجة خصوصاً إذا حصل التغيير، لأن هذا مما يحل حتى الإشكال السياسي ويكسب الثورة الالتفاف الشعبي ولا يعدلون بها سياسياً وتتجاوز كثيراً من المطبات والعقبات.

❖ **نصر أهل البيت على من نصب لهم الحرب** لأن الله تعالى أمر بمودتهم ومحبتهم واتباعهم، ولكن تحول الأمر بالنسبة لهم إلى قمع وقتل وتشريد وسب ولعن وتشويه وحرب إبادة، وجرائم بحقهم يندى لها جبين الإنسانية ومآسي لا تُحصى، وكما نقول في هذا العصر جرائم بحق الإنسانية فلم ينالوا حتى أبسط حقوق الإنسان، والفظيع في الأمر ذلك أصبح سياسة الدول والحكومات والسلطات إلا من عصم الله عبر مئات السنين، هذه

السياسة ما زالت مستمرة حتى وقتنا الحاضر مستهدفة من يحمل فكر الثورة والجهاد من أهل البيت عليهم السلام، ولهذا كان نصرة أهل البيت عليهم السلام كونهم قادة الأمة وقرناء الكتاب الذين إن تمسكت بهم مع القرآن لن تضل أبداً وليعيشوا أيضاً على الأقل مثل غيرهم، وهذه الخطوة خطوة من خطوات إصلاح الإمة إذ كيف تصلح وعلاقتها مع أهل بيت نبيها بهذا الشكل المؤلم، ويدخل في ذلك الانتصار التاريخي لهم والبراءة واتخاذ الموقف المناسب ممن قاتلهم ونصب الحرب لهم وقتلهم في الماضي والحاضر، أضف إلى ذلك أن أهل البيت عليهم السلام يمثلون المنهج الإسلامي النقي البريء من تشويهات التكفيريين ومن تشويهات المتشددين بل وحتى من مغالاة البعض ممن ينتسب إليهم ومن غيرهم.

وعلى كل فالإصلاح الشامل يعني الوقوف ضد الفساد والإفساد الذي يمارسه الظالم والذي قال الله

تعالى عنه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ، وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ففي المجال السياسي يرهن الدولة وسياستها واستقلالها وسيادتها بيد أعدائها بمعنى أنه عميل ،كما أنه يولي المناصب العليا والأدنى في الدولة بيد فاسدين مثله، وفي المجال الثقافي يزيف ثقافة الأمة ويصد عن الثقافة الإسلامية المستقاة من القران الكريم والسنة الصحيحة المطهرة، وفي المجال الاجتماعي يفرق بين الناس ويفسد أخلاقهم و...الخ .

وضعية الأمة البعيد عن الإسلام

من المؤسف جداً أننا وصلنا إلى حالة من التنكر العملي للدين الإسلامي بحجة إخفاق كثير من الحركات الإسلامية، التي جسدت الدين بطريقة غير صحيحة وبتصرفات قاصرة وبممارسات إجرامية وغير أخلاقية وبسلوكيات رذيلة، وزاد الطين بله ظهور الحركات التكفيرية كالقاعدة وداعش وجبهة النصرة ومن على هذه الشاكلة، وليس ظهور هذه الحركات صدفة ولا عفوي بل ظهور مصطنع ومرتب ومُمَنهج الغرض منه تشويه الإسلام، وترسيخ قناعة لدى الناس أن صورة الإسلام هكذا حتى يهربون منه بذريعة أن يكون بذلك الشكل، ولذلك أي دعوة للعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ صار فهمها أنها بتلك الطرق العقيمة والأساليب الخبيثة، وهذا يُعدّ من أكبر التحديات التي

تواجهها الثورة في الإسلام، ومهمة غير سهلة لإقناع الناس بجدوائية الإسلام العملية، لأن الكل يتحدث عن الإسلام كنظريات وشعارات فقط والواقع بعيد عن تعاليمه، فلا حدود تُقام ولا عدل مبسوط والأحكام معطلة والشريعة مجمدة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير مُفعّل، وهذا من أهم دواعي الثورة وأسبابها، فهذا الإمام الحسين عليه السلام يشرح وضعية الأمة وسبب خروجه وثورته الكربلائية بقوله: (ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المسلم في لقاء الله عز وجل، وإني لا أرى الموت فيه إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً) ويقول الإمام زيد عليه السلام: (كيف لي أن أسكن، وقد خولف كتاب الله، وتحوكم إلى الجبت والطاغوت، والله لو لم يكن إلا أنا وابني يحيى لخرجت وجاهدت حتى أفنى) وقد وصل الحال إلى أن اليهود يسبون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند ولي الأمر فلا ينكر عليه،

بل ينكر على من ينتهر اليهود، لذلك فشرح الوضعية الخطيرة التي عليها الأمة للناس تُعد من أهم استعادة ثقة الناس بالدين وتعاليمه، لأنهم سيرون نموذجاً إسلامياً راقياً وحضارياً وأخلاقياً نموذجاً عزيزاً كريماً ينسف تلك الصورة المشوهة للإسلام، ويرسم أجمل صورة يمكن لعين أن تراه على وجه الأرض.

الثورة العسكرية "الجهاد المسلح والخروج القتالي"

تأتي مرحلة الثورة المسلحة والقتالية على الظالم كآخر مرحلة من مراحل الثورة التي تمر بها، من إبداء النصح له ووعظه وتبصيره ودعوته للخير، لأن الغرض إصلاح الوضع، والمعارضة السياسية للظالم والتوجه الثوري ضده ليس مجرد جدل سياسي أو توجه عبثي وتصيد أخطاء ومكايدة، بل معارضة وثورة ملتزمة لا تمانع من التوصل إلى أي حل يحقق الأهداف النبيلة بأقل

الخسائر، وبعد استخدام التعبير السلمي بمختلف أشكاله كالمظاهرات والاعتصامات والعصيان المدني وتوعية وتبصير المجتمع بالأهداف وبعد الثورة الفكرية التصحيحية للأفكار والعقائد الذي بُني عليها الظلم .

وعند الحديث عن مبدأ الخروج على الظالم أي عن الثورة المسلحة تُطرح هذه التساؤلات: لماذا الخروج على الظالم؟ لماذا الثورة على ولي الأمر الظالم؟ والتساؤلات التي يجب أن تُطرح فعلاً في الساحة هي: لماذا الظلم؟ ولماذا يتولى ظالم ولاية الأمر؟ ولماذا تجب طاعته؟

والإجابة على كل هذه التساؤلات منها ما مر خلال ما سبق ومنها أن سؤال لماذا الخروج على الظالم إجابته في نفس السؤال وهي **لأنه ظالم :**

لأن الظالم قد تجسد الظلم فيه وفي أفعاله وسياسته، وبالخروج عليه نخرج الظلم من الأمة وندخل إلى العدل .

لأن الظالم يمنع الناس من الدين الحق الذي يرفض

ظلمه، لأن الإسلام خروج على الظالمين على مستوى البشرية أفتراه يقدس ظالماً باسمه؟!

لأن الظالم هو من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف والسكوت إقرار له، وإذا لم تأمر الأمة بالمعروف وتنهى عن المنكر فإنها هي من تُؤمر بل وترغم على المنكر وتُنهى وتُمنع عن المعروف.

لأن الظالم هو أساس الفساد وبالخروج عليه تتطهر الأمة من فساده وفساد من معه، وإذا تغير السلطان تغير الزمان.

لأن الظالم يفتت الجبهة الداخلية للأمة ويمزق النسيج الاجتماعي للمجتمعات، ويفتن الناس ويمزق ويثير فيهم النزعات والعصبيات وينخر في عظم الأمة ويفت في عضدها.

لأن الظالم يُعتبر من أكثر الثغرات التي يدخل منها أعداء الأمة إلى قلب الأمة، ويعيثون الفساد في صميمها

وينفذون حتى إلى الدين ليزيفوه بالإضافة إلى أنه يستقوي بهم على أبناء أمته.

لأن الظالم في حالة دخول مستمر وتدخل في دين الناس باستمرار، فيتدخل في الأمور العبادية والعقائدية والتاريخية، يتدخل في كل شيء.

لأن الظالم عدو لله تعالى والله تعالى لم يأمر بطاعة فاسق وظالم، وهو الذي توعدهم بالخلود في جهنم وأمر المؤمنين بمواجهتهم وإخضاعهم للحق وسحقهم إن اقتضى الأمر.

لأن الظالم يعمل ضد ما جاء الإسلام للحفاظ عليه، وهي حرية الناس وكرامتهم ونشر العدالة فيما بينهم وبسط الإنصاف.

لأن الظالم يحتل مكان يدعي أنه خليفة وولي أمر امتدادا لولاية الرسول وخلافته، وهو على النقيض تماماً من أخلاق وسيرة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم.

لأن الظالم حجر عثرة أمام انطلاقة الأمة لنشر قيم الخير وبث العدالة في الأرض، وكيف يتقبل العالم الإسلام وهو مرهون بيد ظالم!

لأن الظالم يربي الأمة على نفسية الخضوع وهي النفسية التي أذلت الأمة، وجعلت الأمة تخضع لحفنة من اليهود والصهاينة وهم من ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة.

لأن الظالم يخرج الأمة من النور إلى الظلمات، فيدخلها في الظُلمة السياسية والظُلمة الاقتصادية والظُلمة الثقافية والظُلمة الاجتماعية والظُلمة العسكرية والظُلمة الأمنية و...الخ.

لأن الظالم منبع الفتنة الدينية والدنيوية ويفسد ويقتل، وتتكبد الأمة الخسائر على كل المستويات في كل يوم هو باق فيه يحكمها والخروج عليه يوفر عليها الكثير.

لأن الظالم يظلم ملايين وغير منطقي أن نحافظ على شخص على حساب أمة بكاملها.

لأن الظالم لا يهتم بأمر المسلمين ولكن يهتم بأمر نفسه وأسرته، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم وبدل أن يخدم الأمة يستخدمها.

لأن الظالم هو من بدأ بالظلم والخروج نتيجة وردة فعل منطقية عليه، فهو من يتحمل المسؤولية كاملة.

لأن الظالم يعتبر طاعته واجبة وإن كانت طاعته معصية لله وأوامره مناقضة لأوامر الله، فيجعل بذلك من نفسه نداً لله تعالى.

لأن الظالم هو من يشق عصا الطاعة التي أمره الله تعالى بها، ويخرج من الجماعة التي تعتصم بحبل الله.

لأن الظالم يمثل بقاءه حاجزاً أمام الأمة عن الدفاع عن نفسها ضد أعدائها.

لأن الظالم يرتكب الجرائم التي يجب إقامة الحدود الشرعية على مرتكبها، وكيف تكون الحدود إليه وهو من يتعداها والخروج عليه بمثابة إقامة الحد عليه.

لأن الظالم بظلمه يتعارض مع الفطرة السليمة والذوق الإنساني.

لأن الظالم ضيع كل الفرص التي عُرضت عليه لإصلاح الأوضاع وإشاعة العدل.

لأن الظالم مثل الأخطبوط يمد أذرعه إلى كل شيء، ويجثم على كل شيء والثورة عليه وإزالته كفيل بالتحرر منه.

لأن الظالم ليس قدراً من الله تعالى على الأمة، وإذا كان الله قد جعل مخرجاً للمرأة التي يظلمها زوجها بخلعه فكيف لا يجعل للأمة خلع من يظلمها.

لأن الظالم سبب الواقع السيء الذي تشكو منه الأمة، والخروج عليه تغيير لهذا الواقع إلى الأفضل وحركة لإصلاحه.

لأن الظـالم بظلمـه خـرج مـن ولايـة الأمـر، ولا يجـوز متابعته كالصلاة التي إذا خرج الإمام فيها عن أركانها وما يتعلق بها واستحدث ما ليس فيها بطلت إمامته.

ثم لم تعد المسألة حول حرمة الخروج على الظالم بل حرمة التخلف عن العادل وحرمة الدخول مع الظالم في ظلمه.

ثم لا يوجد ثورة إلا ومبررها وجود الظلم وما يتعلق به من فساد وتخلف ومرض، وما ثارت الشعوب العربية فيما يُسمى بالربيع العربي إلا والمبرر الظلم والفساد، وهذا من الشواهد الواقعية على فطرية الخروج على الظالم.

محاذير

لقد قامت ثورات كثيرة لكن لأنها عفوية وعشوائية ولم تحسم موضوع القيادة فشلت فشلاً ذريعاً، وربما يكون وضع ما قبل الثورة أفضل مما بعدها، فالثورة الفوضوية المليئة بالمكونات الثورية المختلفة والائتلافات المتعددة والأحزاب المتباينة هي في الحقيقة تقدم خدمة مجانية لظالم آخر ليعتلي سدة الحكم بدلاً عن الظالم الأول.

إن التركيز على إسقاط الظالم كهدف رئيسي خطأ كبير، لأن الحقيقة الثورية في الإسلام وحسب مبدأ الخروج على الظالم هو إسقاطه من أجل إفساح المجال للعادل بدلاً عنه، لأنه إذا لم يتحقق تنصيب العادل الذي هو قائد الثورة والمتحمل مسؤولية توجيهها وإدارتها فإنها تصبح نصف ثورة، ومن هنا فإن الخروج والثورة

بقيادة الإمام العادل - الشخصية البديلة عن الظالم- ضرورة وشرط أساسي في نجاح الثورة، ما لم فإن الفوضى ستعم والمشاكل ستزداد والتدخل الخارجي سيحول المسار والخلافات الجانبية والمذهبية والطائفية والمناطقية بين الثوار ستظهر وتبرز إلى الواجهة، وستنشأ الأحزاب الجديدة التي تزيد الفرقة، وتصبح الثورات لإسقاط الأنظمة دون بناء الدول، ويدخل الناس في فراغ سياسي ودستوري كما يُقال، ثم يدخل الوضع إلى الفترة الانتقالية التي هي إجهاض للثورة بكل المقاييس، لأنها فترة ذبح الثورة بسكين الفراغ السياسي وطعنها بالتدخل الخارجي، وفترة تُدار من الخارج وليس من الداخل، وفرصة له لتخطيط المسألة السياسية وتصميم المستقبل عكس أهداف الثورة، وفترة إذكاء النعرات والتمزيق والتفريق وإيقاظ الفتنة وإشعال الصراعات وافتعال الأزمات، وفترة داعمة للظالم الذي تم إسقاطه وخلعه،

وتيئيس للناس من إمكانية التغيير وقتل الأمل في قلوب الجماهير، والوقوف في المنتصف فلا إمكانية للتراجع وصعوبة في التقدم، وفترة لمسخ الوعي والفكر والتطلع والأمل والطموح والتغيير، وحتى للمناعة الشعبية والجماهيرية تجاه القضايا المصيرية للشعب والأمة، وما كانوا لا يرضون به سابقاً يرضون به ويتعودون عليه خلال هذه الفترة، وتصبح الثورة خدمة مجانية للأعداء وينقلها الأعداء إلى مؤامرة لانتقال الناس من الثورة إلى التسليم بالأمر الواقع، ونقل تفكيرهم من الثورة والتغيير إلى الطمع في السلطة والتنافس عليها، والانشغال بالقضايا الهامشية على حساب القضايا الأساسية وبتفاصيل التفاصيل.

أخيراً

لا يمكن للسياسيين فقط إصلاح أوضاع البلاد والعباد لأنهم كذّابون، كما لا يمكن للتجار ذلك لأنهم طمّاعون، ولا لأصحاب الجاه والمناصب لأنهم أنانيّون، ولكن قائد عادل برؤية شاملة كاملة صحيحة جامعة وخطوط عريضة، يسوس بعلم وتقوى ويعمل بحرص على الأمة وإتقان ويتحرك بجدية وهمة ويضحي برضى ورغبة.

وهو بخروجه على الظالم يقوم بواجبه ومسؤوليته سواء انتصر أو استشهد، وهو في كلا الحالتين يقدم شهادة حية وصادقة على عظمة الحق، ويشهد على ضعف الظالم الذي يستمد قوته من ضعفاء النفوس ومن سكوت الناس ومن مداهنة العلماء الذين باعوا ذممهم بثمن بخس.

وهكذا انتصر من خرجوا على الظلم واستشهدوا

كالإمام الحسين والإمام زيد عليهما السلام انتصاراً استراتيجياً، كون ثوراتهم الرد الأمثل والموقف الواضح الحاسم الذي يبطل افتراءات الملوك والظالمين في حرمة الخروج عليهم، فالسلطات الظالمة تُسخّر امكانيات الدولة الجبارة المالية والسياسية والإعلامية والثقافية والدينية و...الخ لصالحها، ولا تمتلك الثورة إلا الموقف القوي والصاعق الذي يرغم أنف الظالم ويمرغه في التراب، ويكسر هيبته ويفضحه ويحرر الناس من الخوف منه، وما زالت تلك الثورتين العظيمتين والثورات التي على دربهما ملهمات الأجيال الثورية، وأصل فكر المقاومة والجهاد الذي كادا أن يُطمسا، وإن الشهداء الذين تساقطوا عبر التاريخ في مواجهة الظلم قد تبرعوا بدمائهم الزكية لإنقاذ حياة الأمة المهددة بالموت بسبب مرض الظلم الذي انهكها، فكانت تلك الدماء الزكية تجري في عروق الأمة وتبقيها حية تماماً مثل ما يتبرع المتبرع بالدم لإنقاذ مريض مهدد بالموت.

الفهرس

تمهيد ---------- ٦

الأسس الفكرية للثورة ---------- ١٠

الفكر السياسي في الإسلام وعلاقته بفكر الثورة فيه-- ١٨

أبرز النظريات السياسية الإسلامية ---------- ١٩

نظرية الأمر الواقع ---------- ٢٠

نظرية انتظار الفرج---------- ٢٤

نظرية الجهاد والاجتهاد ---------- ٢٩

الفرق بين الثورة في الإسلام والثورة المذهبية ----- ٤٠

قيادة الثورة وإمامة الأمة ---------- ٤١

الفكر الوسطي---------- ٤٣

محنة التكفير ---------- ٤٩

الرافضة ---------- ٥٣

الهدف الثوري---------- ٦١

الخطوات العملية لإصلاح الأمة---------- ٦٣

وضعية الأمة البعيد عن الإسلام ---------- ٧٢

الثورة العسكرية "الجهاد المسلح والخروج القتالي" -- ٧٤

محاذير ---------- ٨٢
أخيراً ---------- ٨٥
الفهرس ---------- ٨٧